المحاضرة الرابعة:

الأسرة كمؤسسة اجتماعية:

تعريف الأسرة: تعتبر الأسرة أهم جماعة إنسانية وأكثرها تأثيرا على الفرد والجماعة، وهي الوحدة البنائية الأساسية التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية. وهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، فانطلاقا منها يتم تدعيم وحدته، وتنظم سلوك أفرادها بما يلائم مع الأدوار الاجتماعية المحددة، ووفقا للنمط الحضاري العام. [1]

وتعرف الأسرة على أنها: " جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة (تقوم بينهما رابطة زوجية مقررة) وأبنائهما."[2]

إن الأسرة " هي وحدة اجتماعية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطرقة منظمة اجتماعا مع أطفالهما."[3]

وظائف الأسرة[4]: تتعدد الوظائف التي تقوم بها الأسرة لخدمة الفرد والمجتمع، ولعل هذا التعدد والتنوع هو الذي يكسبها أهميتها في المجتمع. ومن أهم وظائف الأسرة:

الوظيفة الاستمرارية: حيث أن الأسرة هي المجال الذي يحافظ على استمرا النوع البشري، ويؤمن شروط استمرار المجتمع، فلا مجتمع دون أسرة. وكلما كانت الأسرة متماسكة مستقرة، انعكس ذلك على المجتمع، والعكس بالعكس.

الوظيفة الاجتماعية: حيث يتلقى الطفل الصورة الأولية لمجتمعه من أسرته، وتكون هي الصورة المصغرة لذلك المجتع، يتعلم من خلالها قواعده، عاداته، لغته، تقاليده، وكيفية العيش فيه ومخالطة بني جنسه والتعامل معهم. ففي الأسرة يتلقى الطفل التعاليم المبدئية للتربية الاجتماعية. كما يتعلم من خلالها

---

[1]- عبد الحميد لطفي، **علم الاجتماع**، دار النهضة العربية، بيروت، 1977، ص – ص: 61- 62.

[2]- عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979، ص176.

[3]- محمد عاطف غيث، **علم الإجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص 223.

[4]- عبد الله الرشدان، **علم اجتماع التربية**، دار الشوق، عمان، 2008، ص – ص: 137- 138.

- صلاح الدين شروخ، **علم النفس الاجتماعي والإسلام**، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2010، ص 193 – ص 196.

الطفل مفهوم المركز والدور وغيرها من المفاهيم الاجتماعية من خلال علاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض.

الوظيفة النفسية والعاطفية: إذ تمد الأسرة الطفل أسس التوازن النفسي والعاطفي، ويتعلم الطفل فيها التعبير الانفعالي، وتعمل على تكامل شخصية الفرد، كما تهتم بتنظيم التصريف الجنسي بالطريقة المشروعة اجتماعيا ضمن إطار ثقافة المجتمع.

الوظيفة الخلقية والدينية: إذ أنها تمد الطفل بقواعد السلوك الديني والأخلاقي، وتعلمه الصفات الحميدة (التعاون، الصدق، الرأفة، ...) وكيف يميز بينها وبين الصفات الذميمة (الكذب، البخل، السرقة...) وما هو مقبول أخلاقيا، وما هو مرفوض أخلاقيا، كما تجعله مقدما على قواعد دينه متمسكا بمبادئه وتعاليمه، ما ينعكس على سلوكاته ويقومها.

إن التطور الذي شهدته المجتمعات، جعل الأسرة تتخلى عن بعض وظائفها لصالح مؤسسات اجتماعية أخرى كالروضة والمدرسة التي صارت تشاركها العديد من الوظائف كالتربية والتوجيه والتعليم....

ولما كانت الأسرة الخلية الأساسية التي يتشكل منها المجتمع، ونظرا لما لاقته الأسرة من مشكلات ارتبطت أصلا من تحول المجتمعات من بسيطة إلى معقدة، فقد وجد علماء الإجتماع أنفسهم مجبرين على التفرغ لدراسة الأسرة، ليس فقط بمنظار علم الإجتماع العام، ولكن بميدان متخصص يعالج قضايا الأسرة معالجة سوسيولوجية وهو علم الإجتماع الأسري.

بدايات الاهتمام بالأسرة كمؤسسة اجتماعية[5]:

تعود دراسات الأسرة إلى أواخر القرن التاسع عشر، على يد علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الآثار الذين اهتموا بدراسة الأسرة في الثقافات البدائية وفي الحضارات القديمة.

ونظرا لتعاظم أهمية الأسرة في المجتمع الحديث، خاصة الصناعي، ونظرا لتفاقم المشكلات والتحديات الإنسانية التي تواجه الأسرة في المجتمع الحضري، والناجمة عن مظاهر التحديث والتحضر والتصنيع والتنمية، كان لزاما أن يتوجه علماء الإجتماع للمشاركة الفاعلة والجدية في فهم هذه المشكلات وتنمية وجوه الحياة الأسرية.

---

[5]- إحسان محمد الحسن، **علم اجتماع العائلة**، مرجع سبق ذكره، ص 24.

الإتجاهات النظرية لفهم الأسرة كمؤسسة اجتماعية: اختلف الباحثون في تحديد المداخل الأساسية لدراسة وفهم الأسرة. فمنهم من اكتفى بالمدخل البنائي الوظيفي – المدخل التفاعلي- المدخل التطوري، ومنهم من زاد: المدخل الموقفي والمدخل النظامي ومدخل التبادل ومدخل الصراع. وسنكتفي هنا بالمداخل التالية:

1- الأسرة كنظام: يعد أقدم المداخل التي تركز على وصف وتحليل نظام الأسرة وبنائها. وقد استخدمه الأنثروبولوجيون أكثر. ويهتم هذا المدخل الأخلاقي بدراسة أصل نظام الأسرة في المجتمع، وتطوره، ومقارنة الأسرة عبر أماكن وأزمنة مختلفة.[6]

2- البنائية الوظيفية: ينظر للأسرة كنسق كلي يتكون من مجموعة الأجزاء المتفاعلة فيما بينها والمتساندة وظيفيا. وكنسق فرعي من النسق الكلي وهو المجتمع. ويدرس هذا المدخل أجزاء نسق الأسرة في تركيز على الأداء الوظيفي لهذه الأجزاء تحقيقا لبقاء توازنه، أو إعاقة تكامل هذا النسق، وتوازن النسق الكلي. كما يهتم هذا المدخل بالعلاقات الداخلية لنسق الأسرة (علاقة الزوجين مع بعضهما البعض، علاقة الأبناء مع بعضهم البعض، علاقة الآباء مع الأبناء) والعلاقات الخارجية (علاقة الأسرة مع بقية أنساق المجتمع).[7]

ويركز رائد هذا المدخل تالكوت بارسونز على قضية التوازن والإستقرار، فمهمة الأسرة (خصوصا الزوجين) هي نقل القيم والمعايير والسلوكات المقبولة اجتماعية لتكييف أفرادها على مطالب المجتمع وقيمه. [8]

3- اتجاه الصراع[9]:

---

[6]- مهدي محمد القصاص، **علم الإجتماع العائلي**، جامعة المنصورة، مصر، 2008، ص 58.

[7]- المرجع نفسه، ص 59.

[8] - Max Blak, **The social theorie of Talcott Parsons**, Library of congress catalog, Amereca, 1961, p59.

[9]- أحمد سالم الأحمر، **علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص 93- ص 95 (بتصرف)

اكتسب هذا الاتجاه شعبية واسعة خلال فترة الستينيات من القرن العشرين في دراسات علم اجتماع العائلة. ويؤكد هذا الإتجاه على أهمية التغير في حياة الأسرة، متأثرة في ذلك بالعوامل الخارجية كقوى أساسية لدينامية الأسرة. من أهم القوى المؤثرة في أحوال الأسرة:

- الأحوال الإقتصادية.
- تغير البنى الإجتماعية.
- علاقات السلطة في المجتمع.

ويرى أصحاب هذا الإتجاه أن الحياة الإجتماعية داخل الأسرة تتصف بصراع المصالح الفردية – باعتبارها انعكاس للحياة الإجتماعية خارج الأسرة- وما ينجم عن هذا الصراع هو التغير الذي يحطم التوازن الذي بنيت عليه الأسرة ويوجد توازنا آخر يحمل بدوره صراعات جديدة.

وأهم ما تدور حوله الصراعات الزوجية: توزيع الموارد، توزيع العمل وممارسة السلطة... وهي مواضيع تعكس تلك العداوات الأساسية المتأصلة في البنية الإجتماعية الكبرى؛ إذ أنها بنية يسودها عدم المساواة بين الرجال والنساء. ومن أنصار هذا الإتجاه مارك وإنجلز، اللذان يريان أن هناك ثلاث أشكال رئيسية للأسرة: الأسرة الوحشية – الأسرة البربرية والأسرة المدنية. وداخل كل شكل من هذه الأشكال هناك تفاوت في استخدام السلطة بين الرجل والمرأة.

وعموما فإن دراسة الأسرة كمؤسسة اجتماعية تركز على النواحي التالية:

- بناء الأسرة ووظائفها.
- التغيرات الحاصلة على الأسرة.
- علاقة الآباء مع الأبناء.
- التنشئة الإجتماعية الأسرية.
- الأسرة الحضرية والأسرة الريفية.
- مشكلات الأسرة.

ما هي أهم مشكلات الأسرة؟

- عدم تحمل المسؤولية: سواء من طرف الزوج أو من طرف الزوجة. وهذه المسؤولية تتعلق بمسؤولية كل طرف تجاه الآخر، وبمسؤولية الآباء نحو الأبناء.
- بطالة الأب.
- غياب الحوار والتشاور.
- تسلط أحد الطرفين.
- تدخل الأهل والأقراب والجيران في شؤون الأسرة.
- الإدمان: سواء من طرف الآباء أو الأبناء. ولم يعد الإدمان مقتصرا فقط على الكحول والمخدرات والتدخين وما شابهها، ولكنه تحول إلى ادمان الهاتف النقال وإدمان شبكات التواصل الإجتماعي، وهو ما فتت الجو الإجتماعي داخل الأسرة.
- عمل المرأة، وما يرافقه من ظواهر ومشكلات اجتماعية.

لكن الإشكال الذي يواجه الفهم العلمي للأسرة كمؤسسة اجتماعية تكمن في حرجية الموضوع المتدارس، إذ من الصعب البوح بأسرار الأسرة والاطمئنان إلى الباحث السوسيولوجي في هذا المجال، بل ولا يمكن بأي حال من الأحوال تطبيق أداة الملاحظة بالمشاركة إلا إذا كان الباحث عضوا من أعضاء تلك الأسرة، وهو ما يزيد من نسبة الذاتية في البحث ويمنع الوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة.

هذا ويمثل عنصر المفاهيم عقبة ثانية في وجه الباحث في سوسيولوجيا الأسرة، إذ تتعدد المفاهيم المتداولة وتختلف من أسرة إلى أخرى، بل وتحمل مدلولات متباينة،فالزواج والطلاق والخلع والحجاب والتربية والتنشئة والحضانة ... كلها مفاهيم تختلف ممارساتها وتطبيقاتها من منطقة إلى أخرى.